Sirte University Journal of Humanities **(SUJH)** مجلة جامعة سرت للعلوم الإنسانية
Source Homepage: http://journal.su.edu.ly/index.php/Humanities/index

مفهوم التزكية وأثره على مناهج التربية عند الصوفية

د. سهام أحمد الإريبع
S.aleriba.@asmarya.edu.ly
كلية الآداب/ الجامعة الأسمرية الإسلامية/ ليبيا

الملخّص

يهدف البحث إلى بيان أن أساس التربية الصوفية الصحيحة عند أهل التصوف، وهو اتباع منهج النبي صلى الله عليه وسلم في تزكية النفس، إذ يعد هذا المنهج جزءًا أساسيًا من المنهج العام في تربية المسلم، لذلك حاول هذا البحث تسليط الأضواء حول المنهج النبوي في التزكية، واتخاذ الصوفية له كدعامة من الدعامات الأساسية لبناء الإنسان الصالح، فكان منهجًا قويمًا للتربية، واتبع الباحث المنهج التحليلي لحياة النبي في هذا المنهج التربوي، وكيفية تطبيقه في التربية عند الصوفية، ومن أهم نتائج التي توصل إليها أن المنهج التربوي عند النبي صلى الله عليه وسلم من الأسس التي بنت عليها الصوفية منهجها في التربية لما فيها من أخلاقيات عملية، وعقلية، مهمة لبناء حياة سليمة أخلاقيًا، وكان له كبير الأثر على منهج علماء الصوفية فيما بعد، كما له الأثر في إنشاء شخصية المؤمن بناءً دينيًا متكاملًا .

الكلمات المفتاحية:
الأخلاق، مجاهدة النفس، التزكية، الزهد، الصوفية.

THE CONCEPT OF SPONSORSHIP AND ITS IMPACT ON SUFI EDUCATION CURRICULA

Dr. Seham Ahmad Aleriba
Faculty of arts/ Alasmarya Islamic University - Libya

Abstract

The aim of the research is to indicate that the basis of the correct Sufi education in the people of mysticism is to follow the Prophet,s prayer and peace be upon him in self- commendation, this curriculum is an essential part of the general curriculum in the education of Muslims. This research has therefore attempted to shed light on the prophetic method of acclamation and to take Sufism as one of the basic pillars of the building of a good man, it was a strong curriculum for education, The research followed the analytical curriculum of the Prophet,s life in this curriculum and how it is applied in Sufi education, one of its most important findings is that the pedagogical curriculum of the Prophet Prayer of god is one of the foundations on which Sufism has built its curriculum in education, because it has an important practical and mental ethic to build a morally sound life and has had a significant impact on the later Sufi scholars, curriculum, as well as on the creation of the personality of the believer in an integrated religious construction.

Keywords
morality
self-regulation
accreditation
adultery
Sufism

المقدمة

إن الأخلاق ليست شيئًا ثانويًا في هذا الدين، وليست محصورةً في نطاقٍ معينٍ من نطاقات السلوك البشري، إنما هي ركيزةٌ من ركائزه، كما أنها شاملةً للسلوك البشري كله، والمظاهر السلوكية كلها ذات الصبغة الخلقية الواضحة، هي الترجمة العملية للاعتقاد والإيمان الصحيح، لأنَّ الايمان ليس مشاعر مكنونةً في داخل الضمير فحسب، إنما هو عملٌ سلوكيٌ ظاهرٌ كذلك.

إن النظر والتأمل والتفكر والتدبر من أساسيات الدين القويم، وهو نوعٌ من أنواع التزكية التي دعا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة إليها، والأخلاق في جانبها العملي والعقلي، تعد نوعٌ من أنواع التزكية، حيث إنها تنقسم إلى قسمين، تزكيةٌ عقليةٌ، وأخرى بدنيةٌ، والإسلام عقيدةٌ لها

جوانب تطبيقية في سلوك المسلم، وفي خضم الواقع يجري صراعٌ مستمرٌ بين الدوافع، والغرائز، والقيم المتولدة من العقيدة، ولا بد من غلبة جانبٍ على الآخر، ويتم ذلك بجهاد النفس لتتسامى، ولتعرج في سماء المعرفة، لتملك النفس الإرادة القوية في تحقيق أوامر الله، إنه صراع طويل ومرير بين الصدق والكذب، وبين الخير والشر، وبين الحق والباطل، ومن ذا الذي يستطيع أن يتخلق بصفات الصدق والخير والحق؟.. الإيمان اعتقاد فكري يحتاج إلى قوة روحية، ليقف أمام هذا الصراع، والنفس أمارة بالسوء، ولا بد من مجاهدتها في الله حق الجهاد، لتصل وتزكو وتطهر وتتسامى على الضياع في أحوال النفس وأمراضها، والسنة النبوية، والتربية القرآنية هما الوسيلة المؤدية لتزكية النفس حتى تسلك المنهج التربوي الروحي الصحيح.

يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَبِيُ إِنَا أَرْسَلنَاكَ شَاهِدًا ومُبَشِرًا ونَذِيرًا ودَاعيًا إِلى الله بِإِذْنِهِ وسِرَاجَاً مُنِيرًا}**(سورة الأحزاب، الآية 45، 46)**، فكانت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم دعوة صريحَة، وواضحَة لا خلل فيها ولا شك، يقول تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله عَلىَ بَصِيرةٍ أَنَا وَمَنْ اتْبَعَنِي} **(سورة يوسف، الآية108)**، وقد كان خلقه القرآن عليه أفضل الصلاة والسلام، لذلك كانت أخلاقه أزكى الأخلاق.

وقد حاز النبي صلى الله عليه وسلم على التزكية الربانية في إيمانه وعبادته وخلقه، فأرسله الله لتزكية هذه الأمة، وتطهير النفوس من دسائسها وأمراضها، وملئها بكل خصال الطهر والنقاء، وقد كان ذلك في أصحابه رضوان الله عليهم، الذين تحقق فيهم هذا المقصد العظيم بأبهى صوره، فكانوا صفوة لا تتكرر، وأصبح هذا المنهج التربوي في التزكية منهجًا متوارثًا جيلًا بعد جيل.

وتعد تزكية النفس في الإسلام جزءًا أساسيًا من المنهج العام في تربية المسلم، تقوم على أساس أخلاقي من مبادئ العفة، والكرم، والتسامح، والصبر، و أشار إليه القرآن الكريم، كما أوصى به صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الصحيحة، فكان هو المنهج المتبع لدى علماء التصوف فيما بعد، فالتصوف هو حلقة الوصل بين جسد الانسان وروحه، والصوفية هم الذين لا يكتفون بالقول بل ينشدون الوصول إلى الكمال من خلال العمل أيضًا، وعليه فإن المتصوف يسعى إلى اختيار الأفضل، وانتقاء الأجمل من الصفات، مما يعني أن المتصوف من وجهة نظره مختلف عن الانسان العادي الذي يختار لنفسه الوسيلة الأسهل أو المذهب الذي لا يكلفه عناءً وجهدًا، والتصوف هو القلب النابض للإسلام، وعندما ترك المسلمون هذا الجانب أصابهم الضعف والخمول **(عيسى، 1970م، ص33، 36)**.

والتصوف المعتدل نابع من التطبيق الفعلي للعبادات والمعاملات، فالظاهر وحده لا يكفي على حد قولهم، ولكل شيء وجهان، ظاهر وباطن، ولا غنى لأحدهما عن الآخر؛ فإطلاق المسميات لا تهم، والرسول وصحابته أخذوا التصوف بمعناه، ولم يطلقوا على أنفسهم لفظ التصوف، وروح الإسلام يرونها تتجسد فيهم، لذلك كان التصوف عند الصوفية منهج حياة، وبرنامج عمل شامل وضروري، والقلب هو الذي يقود المسلم إلى الصفاء، والطهارة، والخشوع، والنقاء، ويجنبه المعاصي وكل القبائح، وممارسة الشعائر الصوفية الصحيحة تكون بالاعتدال في تطبيقها، وعدم المغالاة فيها حتى يكون المسير إلى الله هو الغاية والمقصد، وهو التفاتة إلى صلب التعاليم الإسلامية، وروح الرسالة المحمدية، إذا غاب الانسان عن المعنى الحقيقي أعاده التصوف إليه، فلا ينساق وراء غرائزه، ويتعلل بالأحكام، والمباح والجائز، يعول على قلبه وضميره، ليصل إلى مقصود غالٍ ونفيس، لا إلى عرضٍ زائلٍ وغير نافع **(عبده، 2020م، ص44)**.

أهداف البحث:

1. بيان أن منهج التزكية يهتم بطهارة القلب قبل طهارة البدن، ويهتم بتنمية الاستعدادات الخيرة الموجودة في الانسان، كما يهتم بتزكية الدوافع الفطرية كدافع الحب، والخوف، والغضب، ودافع الشهوة، وكل هذه الدوافع ضرورية إذا وجهت توجيهًا سليمًا ووضعت في مواضعها.

2. طبع الإنسان المسلم في بنائه: الروحي، والعقلي، والنفسي، والخلقي، والبدني، والاجتماعي، بطابع مستقل، قوامه القوة والصلابة والثبات، وذلك بما يجعله يقف على قدم راسخة في وجه تيارات الضلال والغواية، وعوامل التضليل والخداع، وأسباب الانحراف والفساد، وبما يصون "شخصيته" من الاهتزاز والتذبذب، ويحفظها من خبائل الكفر والإلحاد، وشباك الانحلال والتفسخ.

أهمية البحث:

1.المنهج النبوي في تزكية النفس يعد قاعدة من قواعد تربية المسلم في جميع الأوقات، وخصوصًا الوقت الحالي، وهو بناء خلقي عملي، تطبيقي، وعقلي أيضًا لذلك كان شامل لحياة المسلم كاملة.

2.كان للصوفية الأثر الكبير في هذا المنهج في تربية نفس المؤمن، ومعالجتها من أمراض النفس، وتخليها عن الأدران التي قد تحجبها عن معرفة الله حق معرفته.

3.تمكين الانسان المسلم من حسن التكيُّف، والتوازن والمعادلة بين دنياه وآخرته، وبين شواغل روحه ومطالب بدنه، وبين قوى عقله ونوازع عاطفته.

4.هذا النوع من البحوث يحتاج إليه الانسان من وقت إلى آخر للتذكير والموعظة، وخاصَّة في وقتنا الحالي الذي ابتعد فيه الانسان عن الضروريات العقلية، واتجه إلى حاجاته البدنية والمادية.

مشكلة البحث: ما هو المنهج الذي اتبعه الصوفية في التربية من خلال تزكية النفس، وكيف كان تأثير المنهج النبوي في التزكية على منهج الصوفية، وهل نجح الصوفية في أن يضعوا منهجا نظريًا وعمليًا(سلوكيًا) يعتمد على القلب، ويفضل العقل حتى كانوا أئمة لمن أتى بعدهم من الصوفية؟

منهج البحث: لقد تم اتباع المنهج التحليلي في هذا البحث، لما فيه من تحليل لبعض الأحاديث النبوية المتعلقة بمنهج التزكية والأخلاق، والوقوف على الأسس التربوية في هذا المنهج النبوي ومدى تأثر الصوفية به في منهجهم الصوفي.

هيكلية البحث:

المبحث الأول: مفهوم التزكية النبوية وأنواعها:

-مفهوم التزكية
-أنواع التزكية النبوية
-مقصد التزكية في الدعاء النبوي

المبحث الثاني: صفات الرسول عليه الصلاة والسلام في تزكية النفس

المبحث الثالث: مفهوم التزكية عند الصوفية:

-أهمية التربية الصوفية ودورها في تزكية النفوس
-طرق ووسائل تزكية النفس وتطهيرها من أدرانها
-الأساليب العملية لتزكية النفس

المبحث الرابع: بين المنهج النبوي والصوفي في الزهد:

-منهج الزهد في القرآن الكريم
-الزهد ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم فيه
-معنى الزهد عند الصوفية ومنهجهم التربوي فيه
-علما ء التصوف وفقه التزكية

المبحث الخامس: الأمثال القرآنية ودورها في غرس القيم الأخلاقية

-القصص القرآني
-فوائد القصص القرآني

المبحث الأول: مفهوم التزكية النبوية وأنواعها:

لقد كانت مهمة الأنبياء والرسل الدعوة إلى الله عز وجل، وتحقيق السمو الأخلاقي، والروحي المنشود، وترسيخ أواصر التعامل الأخلاقي بكل مقوماته، وتنوير القلوب، وترشيدها من مزالق الزيغ والانحراف، وحفظها من نوازع الهوى وذلك بإصلاح القلوب العليلة وتزكيتها بأنوار المعرفة الربانية، وإرجاعها إلى طريق الله المستقيم.

والتزكية هي إحدى مهمات النبوة كما جاء في القرآن الكريم، وإحدى وظائف النبي، يقول الباري سبحانه وتعالى {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِمْهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِيهَمْ إِنَكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمْ} (**سورة البقرة، الآية 129**).

والتزكية هي الأصل الثالث من الأصول العلمية للدعوة السلفية، ويقصد بها تنمية القلوب وإصلاحها وتطهيرها، وأن صلاح الفرد لا يكون إلا بتزكية نفسه، قال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُوُرَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَاهَا } (**سورة الشمس، الآية 1، 10**).

ومفهوم التزكية كما يرى ابن تيمية في الفتاوى: (تكون بعمل الصالحات وترك السيئات أو إزالة الشر وزيادة الخير)، وتزكية النفس: عبارة عن تخلية النفس من العيوب، والرذائل، والآفات الظاهرة والباطنة، وتحليتها بالفضائل، والاجتهاد المتواصل في تنميتها وإصلاحها بما يرضي

الله عز وجل، وتحقيق الاستقامة لصاحبها في الحياة الدنيا، والفلاح والنجاة في الآخرة.

-أنواع التزكية النبوية:

1.التزكية العقلية: وهذا النوع يهتم بتربية الانسان تربية عقلية بتنمية قدرته على النظر، والتأمل، والتفكر، والتدبر، ليتمكن العقل من قبول العلم واستيعابه، وقد سار النبي الكريم على هذا المنهج مثلما أمره الله سبحانه وتعالى والتي تتمثل في الآتي:

أ. تجريد العقل من المسلمات المبنية على الظن والتخمين، حيث يقول تعالى في محكم تنزيله: {وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَبِعُونَ إِلاَ الْظَنْ وَإِنَ الْظَنَ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِ شَيْئًا} **(سورة النجم، الآية 28)**.

ب. على العقل التحقق والتأكد قبل صدور الحكم، يقول تعالى: {يَا أَيَهَا الْذَينَ آمَنوا إِذَا جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىَ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينْ} **(سورة الحجرات، الآية 6)**.

ج. دعوة العقل إلى التأمل في حكمة ما شرع الله لعباده من عبادات ومعاملات وأخلاق وآداب وأسلوب حياة كامل، وأن يطبقه المسلم في حياته ليحقق سعادته وطمأنينته، يقول تعالى: {وَمَالَكُمْ أَلَا تَأْكُلُوا مِمَا ذُكِرَ اسْمُ الله عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَلَ لَكُمْ مَا حَرَمَ عَلَيْكُمْ إِلاَ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَ كَثِيراً لَيَضِلُونَ بِأَهْوَائِهِمُ بِغَيْرِ عِلمٍ إِنَ رَبْكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينْ} **(سورة الأنعام، الآية119)**.

د. والتدبر والتأمل أيضا في الكون وقوانينه، يقول تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا الْسَمَوَاتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَ بِالْحَقِ وَإِنَ الْسَاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الْصَفَحَ الْجَمِيلْ} (سورة الحجر، الآية 85).

هـ. النظر وأخذ الموعظة في سنة الله في الناس على مرّ العصور، يقول تعالى: {أَلَمْ يَرَوا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَنَاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا الْسَمَاءَ عَلَيْهِمُ مِدْرَارًا وَجَعْلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ فَأَهْلَكْنَاهُمُ بِذُنُوبِهِمُ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ قَرْنَاً آخَرِينْ} (سورة الأنعام، الآية 6). والأمثال في ذلك كثيرة، لإرشاد المسلم إلى الطريق الصحيح، وهو نوع من التربية التوجيهية.

2.التربية أو التزكية البدنية:

وهي تزكية نابعة من القرآن الكريم تميل دومًا إلى الوسطية لا إفراط ولا تفريط، فقد أحلّ الله الطيبات، وحرَّم الخبائث، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وهذه التربية يستطيع الإنسان من خلالها أن يؤدي وظائفه المناطة به من قبل الله، من خلال ضبط المسلم لحاجاته من الطعام، والشراب، والملبس، والمأوى، والزواج، وملكية المال، وفق الشرع، وتحريم الظلم، والعدوان على الآخرين وضبط حاجته إلى العمل المشروع الغير مضر للناس، وربط العلم بالإيمان، وعدم الاغترار بالنعمة.

وبذلك يكون المنهج النبوي في التزكية العقلية، والبدنية أفضل المناهج، وأقومها لبناء المجتمعات الصالحة، ومن أهم المناهج التي بنى عليها الصوفية منهجهم التربوي لإعداد الشخصية الإسلامية المتوازنة.

-مقصد التزكية في الدعاء النبوي:

مطلب التزكية ظاهر في دعائه المأثور، فكان من دعائه صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن والبخل، والهرم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها) **(مسلم،1991م، رقم 2706، ص2079)**، ومن قواعد التزكية المشهورة التي تجلت في النصوص النبوية قاعدة : التخلية قبل التحلية، أي تخلية النفوس من العيوب والآفات، ومن ثم تحليتها بالفضائل، والخصال الحسنة.

المبحث الثاني: صفات الرسول صلى الله عليه وسلم في تزكية النفس

إذا تأملنا حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ودرسنا طرائقه التربوية لوجدناه بحق أجدر الناس بلقب " المربي والمعلم" وذلك لما يحمله من صفات تربوية جعلت منه قدوة للبشرية جمعاء؛ فالرسول الكريم في تربيته الإسلامية التي استمر تأسيسها ثلاثة وعشرين سنة متواصلة كان يحمل فيه مجموعة من الصفات والتي من بينها:

1.الرحمة: وهي صفة لازمة لكل مربي، فقاسي القلب لا يصلح أن يكون مربيًا، لأنَّ هذه الرحمة هي حركة قلبية، وعطف وتألم نفسي، وإحساس مرهف، ومواساة وجدانية، هي العصب الحساس الذي يدفع المربي ذاتيًا وعن رغبة للتخفيف عن الشخص الذي يربيه.

2.الصبر: الصبر زاد كل مرب، والمربي الذي لا يتمتع بالصبر كالمسافر الذي يسافر بغير زاد، فإما أن يهلك، وإما أن يرجع، فقد يُساء فهم، أو تفسير مقصد المربي، فعليه أن يصبر حتى تتضح الأمور، وقد يبذل المربي جهدًا كبيرًا ثم لا يرى نتائج مرضية، فعليه أن يصبر لأنَّ طبيعة التربية أنها لا تُؤتي ثمارها عاجلة، وقد يحارب المربي ويؤذى، فعليه أن يصبر، لأنَّ هذا الصبر هو عدة التغيير الذي يبتغيه.

3.الفطانة: لا بد للمربي أن يكون ذكيًا فطنًا، يلاحظ أدق الأمور في المربى، فإن كانت خيرةٍ انتقى أفضل الطرق بالنسبة للمربى لتنميتها، وإن كانت شريرة اختار أفضل الطرق لمعالجتها، ويلاحظ ما يناسب المربى وما لا يناسبه، ويعرف خلجات نفسه من قسمات وجهه، ويدرك الفروق الفردية الدقيقة بين الناس، لأنَّ مهمته أن يتسلل إلى داخل النفس، من خلال هذه الفروق، أو يستغلها لتوجيه كل فرد إلى ما يفلح.

4.التواضع: وهي صفة ضرورية في المربي، لأنَّ تعاليه عليه يزيد في الهوة بينهما، وإذا زادت الهوة انعدم التأثير.

5.الحلم: فيكون المربي واسع الصدر حليمًا، لا يثيره الخطأ، بل ولا الإساءة إليه، فيمتَّصها، ثم يلفظها مستهينا بها، ثم يوجه همه إلى معالجة أسباب هذا الخطأ، أو أسباب تلك الإساءة.

6.العفو والصفح: لقد كان هذا الحلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الإساءة إلى شخصه عليه الصلاة والسلام، يلازمه عفو وصفح عن المسيء لتبدأ معه سيرة جديدة.

7.قوة الشخصية: وهي من شروط المربي، وأن يكون غير متهافت ولا متردد، ليستطيع التأثير في المربى، وقوة الشخصية تغني عن الكثير من العقوبات، وتردع عن كثير من المخالفات، وتزرع القناعة في النفس.

8. الاقتناع بالعمل التربوي: اختلفت تعبيرات الباحثين عن هذه الصفة فبعضهم يعبر عنها بالإيمان، وبعضهم بحب العمل، وبعضهم بالاقتناع بالعمل، وهي صفة مهمة في المربي؛ لأنَّ التربية عطاء نفسي وروحي، وإذا كان المربي غير مقتنع بالعمل التربوي فإنه لا يستطيع أن يقدم هذا العطاء. (**الصوري، 1991م، ص15، 17**).

المبحث الثالث: مفهوم التزكية عند الصوفية

تزكية النفس أي إصلاحها، والارتقاء بها من الصفات المذمومة إلى الصفات المحمودة، والتحكم في الغريزة والسيطرة عليها، وطريق التزكية هو مجاهدة النفس، ومخالفتها وإضعافها، وعدم الاستجابة لمطالبها الشهوانية والغضبية؛ فالنفس المتعلقة بالمنصب، أو المال مثلًا تُعالج بالزهد فيما تطلبه، وعندما تتحرر النفس من غرائزها الفطرية تنمو القوة الروحية في السالك، ويكتسب قوة في المواقف، وفهمًا لسنن الله في الكون، وسكونًا داخليًا وشعورًا بالتحرر الداخلي والقوة الذاتية، ويستمد قوته من الله تعالى، ويكون له تأثير فيمن حوله، وهيبة في نظر الخلق، ويكون لكلامه حلاوة فيمن يسمعه، ويشعر أن الله تعالى هو المدبر لشؤون خلقه، فما يأتيه من ابتلاء من الله يرضى به، من غير ضيقٍ، أو تململ، ويكون عمله لله تعالى، ولا يهمه ماذا يقول الخلق عنه، ويستوي لديه المدح والذم، ولا يحقد على عدو، ولا يظلم، ولا يساوم على حق يؤمن به، ولا يخشى من حاكم مهما قسا عليه، ولا ينتقم ولا يغضب لنفيه، هذا هو مفهوم تزكية النفس كما يراه الصوفية المتبعون لمنهج النبي عليه الصلاة والسلام في التربية، وهو عين ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على تحقيقه، فإذا عُلم هذا، تبين أن حاجة المكلف إلى تزكية نفسه، وتطهير قلبه أشد الحاجات تحتما عليه، ولقد أحس الإمام الغزالي في وصف هذه الحاجة لما قال: (مهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها إلا فوت الحياة الفانية، فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية أولى، وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لبٍ، إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام، لو أهملت تراكمت، وترادفت العلل وتظاهرت، فيحتاج العبد إلى تأنق في معرفة علمها، وأسبابها ثم إلى تشمير في علاجها وإصلاحها، فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى: {قد أفلح من زكاها} وإهمالها هو المراد بقوله تعالى: {وقد خاب من دساها} (**الغزالي، د. ت، ج3، ص53**).

-أهمية التربية الصوفية ودورها في تزكية النفوس

إن التصوف منهج سلوكي وتربوي، لم يكن معروفًا في القرنين الأولين، وإنما ظهر وانتشر في بداية القرن الثالث للهجرة، وقد كان للصوفية دور كبير، واجتهاد عظيم في تطهير القلوب من مختلف الأمراض الباطنية التي تحجب الإنسان عن معرفة الله تعالى حق معرفته، فقد كان علماء القرون الماضية من أصحاب الذوق الصوفي النقي يفهمون التصوف، ويقيدونه بالشريعة، ويضبطون قواعده بضوابط الكتاب والسنة، حتى

تذوب ماهية التصوف في ماهية الإسلام، وتتلاشى علامات التمييز، ويبقى الحق هو ما جاء به القرآن وكلام النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا كان المتصوف الذي يمارس التصوف على طريقة الأوائل من الزهاد، والصوفية المجتهدين، الذين اجتهدوا في عبادتهم، وسلوكهم معتمدين على الكتاب والسنة من أمثال الفضيل بن عياض، والحارث المحاسبي، وغيرهما، كان تصوفه في الاتجاه الصحيح، وهناك عدة طرق ووسائل يستطيع من خلالها الصوفي تزكية النفس؛ فيرتفع من خلالها مستوى الإيمان في باطنه وقلبه، فتغمره السكينة والطمأنينة، ثم يرتقي في الأحوال والمقامات الروحية والايمانية وهي كالآتي:

– طرق ووسائل تزكية النفس وتطهيرها من غوائلها المهلكة:

قراءة القرآن الكريم بتدبر وتعقل: ففي عصر النبي ظهرت صور التجرد من العلائق، والانقطاع إلى التعبد، والتوكل عند جماعة القراء " الذين يقرأون القرآن ويلازمون الأعمدة في الليل ويتهجدون، حتى إذا جاء النهار استقوا الماء واحتطبوا للنبي وكانوا في صحبته" (**ابن سعد، ج3،د.ت، ص36، 38**)، إدامة النظر في السيرة النبوية، والنظر في سير الصحابة الكرام، وأهل الفضل والحلم، ومطالعة كتب الآداب الشرعية، والاعتبار بحوادث التاريخ، وتصحيح العقيدة، والدعاء، والمجاهدة وهي مجاهدة النفس وإصلاحها، ومحاسبة النفس، والتفكير في الآثار المترتبة على حسن الخلق، والنظر في عواقب سوء الخلق، وعلو الهمة، والصبر، والتواصي بحسن الخلق، وقبول النصح الهادف، والنقد البنَّاء، وأن يتخذ الناس مرآةً لنفسه، و مصاحبة الأخيار وأهل الأخلاق الفاضلة، والاختلاف إلى أهل الحلم والفضل وذوي المروءات.

وهناك العديد من النصوص الواردة حول هذه الطرق والوسائل في تزكية النفس، والمقصود هنا هو الإشارة إلى حضور مقصد التزكية في السنة النبوية، فيكون الوعي بهذا المقصد مصاحبًا للقارئ، والمطلع في السنة النبوية، فيعظم الانتفاع أكثر من القراءة المجردة، فليس هناك أعظم وأسمى وأصح من الحالات الروحية، والايمانية التي عرفها، وحظي بها الصحابة، والتابعين رضوان الله عليهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا) (**مسلم،1991م، رقم56، ص62**)، إن الصحابة والتابعين لم يظفروا بذلك الكنز الروحي و الإيماني إلا بعد اتباع أوامر، ووصايا وحكم الكتاب والسنة، والالتزام بالمنهج النبوي الصحيح.

–الأساليب العملية لتزكية النفس:

1.العلم النافع: والعلم النافع الذي يحقق التزكية هو: كل علم يقرب من الله سبحانه، ويزيد الخشية منه، ويدفع إلى العمل الصالح.

ويدخل في هذا العلم الشرعي أولاً علم الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، ثم تأتي بعض العلوم الأخرى كالطب، والفلك وغيرهما مما يدفع العاقل إلى القول بضرورتها ونفعها، والعلم عبادة عظيمة، وهو مقدمة للعمل.

قال تعالى:{ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} (سورة محمد، الآية 19)، وقال تعالى :{ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ} (**سورة الزمر، الآية 9**)، وقال سبحانه:{ يَرْفَعُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمُ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} (**سورة المجادلة، الآية 11**)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" (**البخاري، 2016م، ص71، رقم 7312**)، على أن هناك شرطان لابد من تحققهما حتى يؤدي العلم مهمته في تزكية النفس:

أولا: العمل الصالح مع الإخلاص لله تعالى:

فالعلم النافع هو العلم الذي يتبعه العمل الصالح، ويحمل صاحبه على الأدب، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول:(اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها) (**مسلم،1991م، رقم 2706، ص2079**).

ثانيًا: أن يتجنب المسلم المراء والخصام في مسائل العلم:

وهذا الشرط يجنب العاقل قسوة القلب، ويجعله يسير على نور من أمره، فالجدل والمراء مذمة، ولهذا حذر السلف منه.

2.**العمل الصالح**: والعمل لغة: المهنة والفعل، أما في الاصطلاح: هو العمل المراعي من الخلل (**بن حميد، بن ملوح، 1998م، ج7، ص3010**) والعمل الصالح كثير لا حصر له في الإسلام، وله آثار عظيمة في تزكية النفس، فالصلاة مثلا تحمل العاقل على البعد عن الفحشاء والمنكر، وتزيد المرء خشوعًا، وتربطه بالخالق، وتحمله على أداء حقوق الغير، قال تعالى:{ وَاقِمِ الْصَلاَةَ إِنَ الْصَلاَةَ تَنْهَىَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ } (**سورة العنكبوت، الآية 45**)، وليس هذا فحسب، حتى

القادم لها أن يتخلق بالسكينة وهي التأني في الحركة وعدم العجلة، والوقار في الهيئة بخفض الصوت و غض البصر ونحوهما.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، وأتوها تمشون، وعليكم بالسكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا) (**مسلم، 1991م، رقم151، ص420**)، فالصلاة تجعل المسلم وثيق الصلة بربه تعالى، مستشعرًا لحضوره الدائم معه ورقابته له، يعبده كأنه يراه، وتشيع في قلبه الطمأنينة والثقة، وفي نفسه السكينة والسلام، وتوقظ ضميره الديني والخلقي، وتقوي عزيمته وضبط لنفسه، وتنهاه عن الفحشاء والمنكر، وترفعه عن الذل والمسكنة، وتحفظه من الكبرياء والغرور، وتجعله طاهر القلب واللسان والبدن، وتقيه الأمراض، والعلل النفسية، والعصبية والبدنية (**الزنتاني، 1993م، ص132**).

والزكاة أخذ اسمها من الزكاء، وهو النماء والطهارة والبركة، والقيام بها تحمل صاحبها على تطهير النفس من الشح والبخل، وتدفع به إلى أبواب الرحمة ومعونة المحتاجين، وتزرع في القلب الصفاء، وترفع منه التعالي على الناس، وتختفي الكراهية والحقد والحسد من النفوس، قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا } (**سورة التوبة، الآية 103**).

والصيام هو أحد أركان الإسلام، والحكمة من مشروعيته الوصول إلى حقيقة التقوى، والصوم الحقيقي يمنع صاحبه من الوقوع في المعاصي، ويحجز العاقل عن تسلط الهوى، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) (**البخاري،2016م، رقم 655، ص945**)، إلى غيرها من الأحاديث النبوية.

والصوم يحمل صاحبه على الكرم، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل" (**البخاري، 2016م، رقم6**)، فالصوم له أبلغ الآثار الإيجابية الفعَّالة في تقوية إيمان المسلم، وتوحيده في عقيدته وعبادته، وإيقاظ ضميره وصحوة وجدانه، وإحساسه برقابة مولاه، وشعوره بحضوره المستمر معه أينما كان، وترقية خلقه، وتزكية روحه، وكسر حدة شهوته، والتدرب على التحكم في انفعالاته وضبط غرائزه ونزواته، وتربية روح الاحتمال والصبر لديه، وتفجير معاني العطف، والشفقة، والخير في نفسه، وتحريك مشاركته الوجدانية الصادقة للآخرين، وإعانة المحتاجين منهم والمعوزين (**الزنتاني، 1993م، ص138**).

والحج شرع لمنافع كثيرة، وتحقيق مصالح الدين والدنيا، وبه يزكي العاقل نفسه من الرياء، والسمعة، ويجتنب الرفث، والفسوق والجدال، وهو تدريب عملي على الصبر وكظم الغيظ والتعاون والإيثار والحب والتواضع، قال تعالى:{ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَ الْحَجَ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللهُ وَتَزَوَدُوا فَإِنَ خَيْرَ الزَادِ التَقْوَى } (**سورة البقرة، الآية197**)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(من أتى هذا البيت فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كما ولدته أمه) (**البخاري، رقم 645، ص914**).

وقال صلى الله عليه وسلم موجها الناس عند الإفاضة من عرفات إلى مزدلفة: (السكينة عباد الله السكينة)، وللحج آثاره الإيجابية في تقوية الإيمان والعقيدة لدى الفرد، وإظهار العبادة والعبودية الخالصتين لله تعالى وحده، بالتلبية، والتسبيح، والتهليل والتكبير، والذكر، والدعاء، والاستغفار في أيام الحج بطوافه، وسعيه والوقوف، بعرفات ورمي الجمرات وغيرها من مناسك، وما يفجره من طاقات روحانية سامية في النفس البشرية تزيد من هدايتها وإيقاظ وجدانها، وترقية خلقها، وطبعها بسمة التواضع والرحمة، والعطف، والرفق، والشعور بالمساواة مع الآخرين، وأنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، والاستقامة وحسن العبادة، وإعداد النفس البشرية كذلك للتمسك بالقيم والمبادئ، والمثل العليا، وفضائل الأخلاق، وتجنبها الغرور، والتعالي، والكبرياء، وإشاعة السكينة والطمأنينة والأمن والسلام فيها.

وفي العشرة الزوجية: قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا} (**سورة النساء، الآية 19**)، وقال سبحانه: {وَإِذَا طَلَقْتُمِ النِسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنْ فَامْسِكُوهُنَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِحُوهُنَ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوُهُنْ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ} (**سورة البقرة، الآية 231**).

وفي البيع والشراء: عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى) (**البخاري،2002م، رقم 2076، ص500**) فالدين كله خلق، والعبادات كلها أخلاق مع الله سبحانه، ثم هي مع الناس، والعاقل من تأمل ذلك، وحقق معنى العبودية في أخلاقه، وعبادته، ومعاملاته، وسلوكه، فحياة من طبع على الأخلاق أكمل وأسعد، من الذي يظهر نفسه، ويغالب طبعه، حتى يكون كذلك.

3.صحبة الصالحين قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينْ} (**سورة التوبة، الآية 119**)، وقال سبحانه: {الأَخِلاَّءُ يَومَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينْ}(سورة الزخرف، الآية 67)، عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل الجليس الصالح كمثل العطار، إن لم يعطك من عطره أصابك من ريحه) (**أبو داوود، د.ت، رقم 4831**).

ومصاحبة الأخيار عون على تغيير الأخلاق السيئة، وحصانة من السقوط في هاوية الأشرار، والعاقل من ينوع المؤثرات حوله في عشرة أصحابه، فصاحبٌ للاستشارة، وآخرٌ للمناصحة، وثالثٌ ملاذ بعد الله تعالى في الأزمات، وبهذا تكتمل شخصية العاقل في الصحبة.

4.الزواج: العاقل لا يستغرب الحديث عن الزواج هنا، لأنه يعلم أنه من الوسائل العملية، وهو حصن حصين، وفيه يحقق الإنسان لنفسه العفة، والسكن، والمودة، والرحمة، ويحمي نفسه من سعار الشهوة المحرمة.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء) (مسلم،1991م، رقم 1400، ص1018، 1019)، (وعن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: (إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين، فليتق الله في النصف الثاني) (**البيهقي، 2000م، 5486**).

5.إمعان النظر إلى كتاب الله سبحانه: قال الله تعالى :{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} (**سورة الإسراء، الآية 9**)، وقال تعالى: { وَكَذَلِكَ أَوْحَينَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}(**سورة الشورى، الآية 52**)، وقال سبحانه: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوعِظَةٌ مِنْ رَبِكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الْصُدُورِ وَهُدَىً وَرَحْمَةً لْلمُؤْمِنِينْ} (**سورة يونس، الآية 57**)، وقال سبحانه وتعالى:{ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ} (**سورة البقرة، الآية231**)، فالقرآن الكريم اشتمل على الأمثال، والقصص، والعبر هداية لخيري الدنيا والآخرة.

المبحث الرابع: بين المنهج النبوي والصوفي في الزهد:

معنى الزهد ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم فيه:

التصوف على رأي ابن خلدون" من العلوم الحادثة في الملة" (**ابن خلدون، 1858م، ص467**)، وأصله زهد الرسول الكريم واعتكافه بعيدًا عن الناس في جبل حراء وغيره (**البصري، 1937م، ص108**)، وهو كذلك زهد الصحابة الكرام، وعبادة التابعين وتابعي التابعين من السلف الصالح، أولئك النساك العاكفون على العبادة، المنقطعون إلى الله تعالى المعرضون عن زخرف الدنيا وزينتها، الزاهدون فيما يقبل عليه جمهور الناس من لذةٍ ومالٍ وجاهٍ (**القشيري، 1940م، ص33، 49**).

فالتصوف إذن في نشأته الإسلامية الأولى هو: الزهد بعينه، والانفراد عن الناس في الخلوة للعبادة، ومجاهدة الشهوة والهوى، والعمل على طهارة النفس وتزكيتها بالإقبال على الله سبحانه من دون غيره، وهو ترك ما لا ينفع في الآخرة، (**الجليند، 1988م، ص27**) فسموا (النساك)، و (الزهاد)، و(العباد)، و(البكاءون) (**الجاحظ، 1985م، ص313، 369**)، وعرف عنهم آخرون من فقراء المسلمين باسم (أهل الصفة) (**ابن سعد، ج4، د. ت، ص298، 313، 322، ج7، ص51**).

يعتمد التصوف على العبادة والزهد وخاصَّة في نشأته الأولى– التصوف ذا المصدر الإسلامي (**العراقي، 1978م،ص127**)**–** واعتماد التصوف على الزهد والعبادة يتضح من أقوال ابن خلدون في كتابه المقدمة؛ إذ يرى أن التصوف من علوم الشريعة الحادثة في الملة، وأصله أن: طريق هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة، والتابعين ومن بعدهم، طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد

عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عامًا في الصحابة والسلف، فلما فشى الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة. **(ابن خلدون،1858م، م3 ص1062)** وقال ابن خلدون في موضع آخر: "كل ما كان غير خارج عن الروح الإسلامية أسميناه تصوفًا إيجابيًا وما كان منحرفًا خارج المنهج الإسلامي دعوناه تصوفًا سلبيًا) **(محمود،1966م، ص7)**، وهو نظري وعملي **(ابن تيمية، 1987م، ص9)**.

والزهد خلاف الرغبة، يقال فلان يرغب في كذا، وفلان يزهد فيه، والزهد في الشيء يعني عدم إرادته وعدم قصده، وعدم الانشغال به وعدم طلبه، أما الرغبة فهي من جنس الإرادة والطلب، فمن رغب شيئًا طلبه، وقصد إليه وأراده، ومن زهد شيئًا لم يقصده ولم يرده.

وقد تزهد النفس في الشيء مع امتلاكها له فلا تريده، وقد تكرهه وتنفر منه، وقد تزهد النفس في الشيء فلا تريده لكنها لا تكرهه ولا تنفر منه، فتكون لا هي مريدة طالبة له، ولا هي كارهة نافرة منه، فالزهد يعني عدم إرادة الشيء، وقد يكون ذلك مع كراهة الشيء أحيانا، كما يكون مع عدم كراهته ولا النفور منه، وكل من يرغب في الشيء ولا يريده كان زاهدًا فيه، سواء تحقق مع عدم رغبته كراهة ونفور، أم لم يتحقق ذلك **(ابن تيمية، 1987م، ص9)**.

ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم يقوم أساسًا على الزهد، بالترهيب مما حذر الله منه وزهد فيه، كالانشغال بفضول الدنيا، أو جعلها غاية بدلًا من أن تكون وسيلة، أو الركون إليها والاغترار بها، وبما فيها، ومن ناحيةٍ أخرى يقوم الزهد على الترغيب في كل ما رغب الله فيه، وأراده للمسلم منهجًا وسلوكًا.

"والزهد المحمود شرعًا هو ترك ما لا ينفع العبد في الآخرة، أو هو ترك ما لا يعينك على الآخرة" **(ابن تيمية، 1987م، ص9)**، والذي يعين العبد على الدار الآخرة وينفعه فيها، قد جاءت به الرسل، ونزل به الوحي، قال تعالى: {وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَبِعُوهُ} **(سورة الأنعام، الآية 153)**، وكذلك فصل القرآن القول فيما يضر الإنسان في الآخرة، ولا ينفعه فيها، فالعلم النافع والضار في الآخرة مصدره الوحي من كتاب الله، وما صحَّ عن رسوله، والزهد الشرعي لا يتحقق إلا فيما يضر العبد في الآخرة، وهذا يشمل الأمور المحرمة شرعًا، والمكروهة، لانتفاء نفع هذه الأمور في الآخرة يقينًا، لثبوت النص فيها من كتاب أو سنة، أما المنافع الخالصة أو الراجحة فإن الزهد فيها ليس محمودًا لا عقلًا ولا شرعًا.

كذلك من الزهد المحمود شرعًا ألا يشغل المرء نفسه بما ضرره أكثر من نفعه، أو بما يفوت على صاحبه نفعًا أكبر منه، وهذه كلها معلومة من جهة الشرع نصًّا لا تأويلًا، وليس من الضروري أن يكون الزاهد فقيرًا أو مسكينًا، بل قد يكون غنيًا وصاحب جاه، لأنَّه لا منافاة بين وجود الشيء في يد صاحبه، وزهد صاحبه فيه، وكما يكون الزهد عن عدم، فإنه أيضا يكون عن وجود، ومن هنا كان خطاب الله للمؤمن {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الْدَارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَىَ نَصِيبَكَ مِنَ الْدُنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ} **(سورة القصص، الآية 77)**، وقال محذرا من الانشغال بالشيء واللهو به: (أَلْهَاكُمُ الْتَكَاثُرُ حَتَى زُرْتُمُ الْمَقَابِرُ) **(سورة التكاثر، الآية 1، 2)**، {وَتَأْكُلُونَ الْتُرَاثَ أَكْلًا لَمَاً وَتُحِبُونَ الْمَالَ حُبَاً جَمَاً} **(سورة الفجر، الآية 19)**، {اعْلَموا أَنَمَا الْحَيَاةُ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ } **(سورة الحديد، الآية 20)**، والخيطُ رفيعٌ جدًا بين امتلاك الشيء، والزهد فيه، وعدم الانشغال عما يحبّ الله ورسوله، فكثير من الصحابة كانوا على قدرٍ كبير من الثراء، ولكن أموالهم كلها كانت قربى لله لا سببًا في معصيته، والخروج عن منهجه.

ولقد كان صلى الله عليه وسلم المثل والقدوة في زهده وسلوكه، فكان من عادته في المطعم ألا يرد موجودًا، ولا يتكلَّف مفقودًا، وكان يلبس ما تيسر من اللباس من قطن، أو صوف، وكان إذا بلغه أن بعض الصحابة يتزيد في الزهد، أو العبادة ينهاه عن ذلك، وكان يقول:" والله إني لأخشاكم، وأتقاكم لله، وأعلمكم بحدود الله، وأنا أصوم وأفطر، وأقوم وأقعد، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، وهذه سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني" وما يذكره المؤرخون للتصوف من أحوال بعض المتأخرين منهم، كالانقطاع عن الدنيا بترك الأهل، والمال، والولد، فليس هذا من سنة رسول الله، وليس هو من دين الأنبياء، لأنَّ الله أخبر عن رسله أنهم: كانت لهم أزواج، وذرية والإنفاق على الأهل، والولد واجب شرعي، فكيف يكون الواجب أو المستحب محلًا للزهد فيه.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح، قيل وما علامة ذلك يا رسول الله؟ قال: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله)، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من تجافى عن الدنيا نور الله قلبه.

وقال حارثة، حين سأله النبي صلى الله عليه وسلم: ما حقيقة إيمانك؟ قال: عزفت بنفسي عن الدنيا، فأظمأت نهاري، وأسهرت ليلي، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون، وإلى أهل النار يتعادون، فأخبر أنه لما عزف عن الدنيا، نور الله قلبه، فكان ما غاب منه بمنزلة ما يشاهده.

إن نزعة الإعراض عن الدنيا، ونزعة السعي وراءها نجدهما في سيرة الرسول، فقد روي عنه قوله: (ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه، حتى يصيب منهما جميعًا، فإن الدنيا بلاغ للآخرة) (**السيوطي، 2004م، رقم7576**)، وقد نهى عن العزوبة وقال لرجل مال إليها: (فأنت إذا من إخوان الشياطين، إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم، وإن كنت منا فمن سنتنا النكاح) وقال أيضًا: (الطاعم الشاكر خير من الصوام الزاهد)، وروي عنه أيضا قوله: (إنما حُبِّب إليَّ من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة) فالنبي يحثُّ على العبادة والتقوى وحقوق الله، وكان قدوة للمسلمين في ذلك، لكنه لم ينه عن لذائذ الحياة المشروعة، ولم يحرم نفسه منها (**الفاخوري، الجر، 1993م، ص291**).

منهج الزهد في القرآن والسنة:

لقد وردت كلمة الزهد مرة واحدة في القرآن الكريم في قصة يوسف عليه السلام في قوله تعالى:{ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَاهِدِينْ} (**سورة يوسف، الآية20**)، أي غير راغبين فيه، ولا يعني ذكرها في القران مرةً واحدة أن القرآن لم يحفل بالزهد كقضية ومنهج في التربية، بل أن القرآن الكريم والسنة النبوية قد أولت هذا المبدأ عناية كبيرة، أحيانا بالأمر المباشر به، وأحيانا في مجال المقارنة بين الدنيا والآخرة، وبين ما في الدنيا والآخرة، قال تعالى:{ قُلْ مَتَاعُ الْدُنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتْقَىَ} (**سورة النساء، الآية 77**)، وقال سبحانه:{ وَمَا الْحَيَاةُ الْدُنْيَا إِلاَ مَتَاعُ الْغُرُورِ} (**سورة الحديد، الآية 20**) وقال أيضا:{اعْلَموا أَنَمَا الْحَيَاةُ الْدُنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَارُ نَبَاتُهُ ثُمَ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَ يَكُونُ حُطَامَاً} (**سورة الحديد، الآية 20**).

لقد رسم القرآن في ذلك منهجًا أقوم؛ ليحقق للإنسان ما يكفيه لعمارة الأرض، وحذره في نفس الوقت مما يلهيه عن ذكر الله، قال تعالى: {وَابْتَغِ فِي مَا آتَاكَ اللهُ الدَارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَىَ نَصِيبَكَ مِنَ الْدُنْيَا} (**سورة القصص، الآية 77**)، فلم يطلب القرآن أن يتجرد الإنسان من ماله، وإنما طلب منه أن يبتغي به وجه الله، والدار الآخرة في توظيفه، واستعماله فيما ينفع، ويعين على الآخرة، وهذا هو مضمون الزهد العام، أن يطلب الإنسان بما في يده وجه الله.

وقد أشارت السنة النبوية المطهرة إلى منهج الزهد، وفصلته تفصيلًا دقيقًا؛ فكان الرسول صلى الله عليه وسلم المثل والقدوة في ذلك، وكان الزهد عنده طريقة ووسيلة للتقرب إلى الله، فالسنة النبوية فيها الكثير من الأحاديث الصحيحة في تفضيل الآخرة على الدنيا، واعتبار الدنيا مزرعة الآخرة، فلابد فيها من الزرع الصالح ليؤمل المسلم نفسه بالثمرة الصالحة، فلم يكن الزهد غريبًا على حياة الصحابة والتابعين، ولكن الشيء الجديد في الزهد هو الغلو فيه، والمبالغة في مظاهره، وهذا الغلو لم ينشأ في أي من الحرمين الشريفين، وإنما نشأ بعيدًا عنهما (**الجليند، 1989م، ص48**).

لذلك كان هناك فرق بين أصول الزهد الإسلامية، وبين المبالغات التي طرأت على حياة الزاهدين ومسالكهم؛ فالأصول الأولى إسلامية المنبع قرآنية المصدر، والعجب كل العجب من تلك المظاهر المبالغ فيها مثل الانقطاع عن الحياة، والعزلة، وترك المال وهجر الأولاد...إلخ.

إن خصائص الزهد في الإسلام تجعله متميزًا تمامًا عما كان يفعله أهل الكتاب من النصارى، وما ابتدعوه من الرهبانية، ذلك أن الزهد الإسلامي زهد إيجابي، فهو لا يعني الانعزال عن الدنيا ومتاعها، ولا يعني عدم الانخراط في الحياة العملية، وليس إضاعة المال وهجر الأولاد والأهل، إنه يعني أن تملك ما في يدك بدلًا من أن تكون عبد له، إنه فهم وتطبيق للآية الكريمة: {وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك}.

وليس هناك ارتباط بين معنى الزهد والفقر، فليس من شرط الزهد تحقق معنى الفقر، لأنَّه لا منافاة بين تحقق الزهد وامتلاك المال، بل قد

يكون الزاهد غنيا كما يكون فقيرًا، ثم إن الزهد من عمل القلوب، وليس من عمل الجوارح، وإذا ظهرت علامات الزهد على الجوارح، ولم يكن لها رصيد قلبي نابع من الاعتقاد الصحيح، والايمان الثابت بما عند الله، كان نفاقًا وكذبًا.

معنى الزهد عند الصوفية ومنهجهم التربوي فيه:

يعد النبي صلى الله عليه وسلم قدوةً لعامة المسلمين، فواجبٌ الاقتداء بأخلاقه، والاهتداء بسننه، والاسترشاد بسيرته، فكان هو الرمز الحي والقدوة المثلى، والأسوة الحسنة في العبادة والطاعة، وفي الإيمان والعمل، وفي الصدق والإخلاص، وفي العدل والأمانة، وفي الأخلاق والسلوك، وفي السيرة والتصرف، وفي المواقف، والاتجاهات، وفي المثابرة والاجتهاد، وفي الصبر على المكاره والشدائد، وفي الجَلَد والتَّحمل، وفي أداء الحقوق والقيام بالواجبات، وفي شتى مناشط الحياة، والمعاملات والعلاقات، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَومَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا} **(سورة الأحزاب، الآية21)**، لذلك كان قدوة تربوية في تزكية النفس عند الصوفية، فلو نظرنا إلى حياته صلى الله عليه وسلم لوجدنا الطابع التربوي في تزكية النفس واضحة المعالم فهو يعد أول وأكمل الزهاد، لأنَّه تمثل كل المعاني القرآنية التي تتضمن معالم الحياة الروحية، وطبقها في حياته وسلوكه في أروع صورة، فكان أسوةً لأصحابه رضوان الله عليهم، وكان أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وغيرهم من الصحابة نماذج عالية يقتدى بها في الزهد، والورع، والتقوى، ومحاسبة النفس، ومراقبة الله تعالى، ومعرفته حق المعرفة، وقد اقتفى أثرهم كثير من التابعين من أمثال الحسن البصري، وعمرو بن عبيد العزيز، وسفيان الثوري، ومجاهد بن جبير، وغيرهم كثير **(الكلاباذي، 1980م، ص37)**.

لقد احتفظت حركة الزهد العظيمة بطابعها الإسلامي إلى حدٍّ كبير، وكان من أهم صفاتها الإحساس الديني العميق والشعور الغمر بالضعف الإنساني، والخوف الشديد من الله، والتفويض التام له، والخضوع لإرادته **(نيكلسون، 1947م)**، وهذا الزهد والإقبال على العبادة يجعل المتصوفة يختصون بمواجد وأحوال ومقامات لا توجد لغيرهم ممن لم يسلك طريقهم.

ولعلنا لو رجعنا إلى الرسالة القشيرية لأبي القاسم عبد الكريم القشيري **(القشيري، الرسالة لقشيرية، ص55)** وإلى التعرف لمذهب أهل التصوف، للكلاباذي **(الكلاباذي، 1980م،ص21)**، لوجدناها يذكران الكثير من معاني الزهد عند كثير من الزهاد والمتصوفة، فمن معانيه:

1. أن نترك الدنيا ثم لا تبالي بمن أخذها.
2. النظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينك، فيسهل عليك الإعراض عنها.
3. عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف.
4. الزهد هو الثقة بالله تعالى مع حب الفقر.
5. الزهد هو خلو الأيدي من الأملاك والقلوب من الطمع.
6. الزهد أن تزهد فيما سوى الله تعالى.
7. الزهد في الدنيا أن تبغض أهلها وتبغض ما فيها.
8. الزهد في الدنيا ترك ما فيها على من فيها.

إن التأمل في التعريفات التي قدمها الصوفية يدلنا على أن التصوف ينطوي على معانٍ كثيرة ترجع كلها إلى الزهد في الدنيا ومراقبة الله تعالى والإنابة إليه، والانشغال بذكره في السرِّ والعلن، والضراعة إليه سبحانه وتعالى في كل شيء، والاستغناء عن الخلق، ومن هذه المعاني يحصل للنفس تهذيب، ويتكون فيها خلق رفيع، ويتحقق لصاحبها صفاء في قلبه، فتنكشف له الحقائق في بساطة ووضوح.

ومن ثم يكون التصوف عبارة عن (علم تزكية النفس وتطهيرها والوصول به إلى الكمال في العلم والعمل والمعرفة بالله والمحبة له والتوحيد الكامل له سبحانه لا من حيث الظاهر بل من حيث الأحوال الباطنة، وليس فقط الاستدلال بل أيضا عن طريق الذوق) **(عون، 1983م، ص30)**، فالمتأمل للحياة الروحية عند علماء الصوفية الزهاد يجد أنها انبثقت من الإسلام لأنه يتضمن الجانب الروحي، فقد اشتمل القرآن في آيات كثيرة على جوهر الروحية من مجاهدة النفس، والتوبة، والشكر، والإخلاص، والتوكل والزهد، والخوف، والرجاء، والمحاسبة، والمراقبة وما إلى ذلك من المعاني والقيم التي تشكل أسس الحياة الروحية، وكانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وسلوكه تطبيقا لهذه المعاني.

وقد التزم الزهاد الأوائل في حياتهم وسلوكهم بالمنهج الإسلامي، وتمسكوا بالكتاب والسنة قولًا وعملًا، علمًا وسلوكًا، نظروا في آيات الكتاب، واقتدوا بالرسول عليه الصلاة والسلام، وتقربوا إلى الله بالعبادات، وتقشفوا خشية الحساب، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وشاركوا في الجهاد لنشر كلمة الله تعالى والدفاع عن دينه، لقد كانت

حياتهم تطبيقًا للإسلام في عمومه وشموله، ولهذا فمن الصعوبة أن نجد فروقًا بين صفاتهم كزهاد، أو وعاظ، وصفاتهم كفقهاء ومحدثين، لأنَّ هذه الدوائر تتداخل بحيث يتعذر إقامة الفواصل بينها، وتجتمع كلها داخل المنهج الإسلامي الذي يمثل نظاما كاملا للحياة في شتى جوانبها.

والتصوف السني هو الذي استمد أصوله من الكتاب والسنة والتزم بمبادئها وقد تمسك أصحابه بالمضمون الإسلامي الخالص، ولم يحيدوا عنه في سلوكهم ومواجيدهم، منادين بالمبدأ القرآني " أدخلوا البيوت من أبوابها" ومطالبين بدخول التصوف من باب الدين، ودخول الحقيقة من باب الشريعة، لأنَّ الشريعة هي الباب الذي ينبغي أن يدخل منه الجميع.

ويمثل هذا التصوف السني الشيوخ الأكابر الذين ذكرهم السلمي في طبقات الصوفية وأبو القاسم القشيري في رسالته كالفضيل بن عياض، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري، وعمرو بن عثمان المكي، وأبي سليمان الداراني، وذي النون المصري (**ابن تيمية، الصفدية، ص267**)، وقد وضع هؤلاء الصوفية وأمثالهم من أصحاب التصوف السني نظامًا كاملًا للتصوف من جانبيه النظري والعملي، واستلهموا أصوله، ومقاماته، وأحواله من القرآن الكريم والسنة النبوية، وحياة الصحابة وسلوكهم.

وكان الشيوخ العارفون المستقيمون من مشايخ التصوف يأمرون أهل القلوب –أرباب الزهد والعبادة والمعرفة والمكاشفة–بلزوم الكتاب والسنة، قال الجنيد: (علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن من لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم بعلمنا) (**القشيري، 1966م، ص86**)، وقال الشيخ أبو سليمان الداراني: (إنه لتمر بقلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين: الكتاب والسنة) (**المرجع نفسه، ص107**).

علماء التصوف وفقه التزكية:

وقد كان للتزكية قيمة كبيرة عند علماء الصوفية، ذلك أن انصراف هممهم إلى تزكية النفوس، واشتغال قلوبهم بالتخلق واجتهادهم في تحصيل المكارم، وأخذهم بالأسباب الموصلة إلى ذلك، مظاهر كلها تؤكد تنزيلهم لفقه التزكية مرتبة المقاصد عندهم، يقول ابن خلدون عند حديثه عن علم التصوف : " فظهر أن أصل طريقتهم كلها محاسبة النفس على الأفعال أو التروك، والكلام في هذه الأذواق والمواجد التي تحصل عن المجاهدات" (**ابن خلدون،1858م، ص438**)، لذلك كان كل ما دونوه من الكتب دائرًا حول هذا المقصد، وهذه الغاية، فكتب رجال من أهل هذه الطريقة في طريقتهم، فمنهم من كتب في الورع، ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ، والترك كما فعل المحاسبي في كتابه " الرعاية"، ومنهم من كتب في آداب الطريقة وأذواق أهلها ومواجيدهم في الأقوال، كما فعل القشيري في كتاب " الرسالة"، والسهروردي في كتاب " عوارف المعارف" وأمثالهم، وجمع الغزالي – رحمه الله– بين الأمرين في كتاب " إحياء علوم الدين" فدون فيه أحكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسنتهم وشرح اصطلاحاتهم".

"ومن تعاريف التصوف تعريف الشيخ زكريا الأنصاري على هامش الرسالة القشيرية: التصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر، والباطن لنيل السعادة الأبدية" وقيل:" الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني" (**عيسى،1970م، ص23**)

ولما كان هذا حال أهل التصوف فقد استند كثير من العلماء إلى أقوالهم ومواقفهم في باب التزكية، والتخلق بمكارم الأخلاق، والترقي في درجات السلوك، كما هو صنيع الإمام الشاطبي في " الموافقات" و"الاعتصام" فقد نقل عن أكثر من أربعين شيخًا من أكابر القوم، فمن ذلك قوله في كتاب الاجتهاد عند حديثه عن حال الصحابة في الأخذ بالرخص المدنيات والعزائم المكيات: " فعلى تقرير هذا الأصل من أخذ بالأصل الأول واستقام فيها كما استقاموا، فطُوبى له، ومن أخذ بالأصل الثاني فيها ونعمت، وعلى الأول جرى الصوفية الأولى، وعلى الثاني جرى من عداهم ممن لم يلتزم ما التزموه، ومن ها هنا يفهم شأن المنقطعين إلى الله فيما امتازوا به من نحلتهم المعروفة ".(**الشاطبي، د.ت، ص864**)

ومن ذلك استشهاده في كتاب " الاعتصام" بأقوال كثير من الصوفية كأبي يزيد البسطامي، وأبي حمزة البغدادي، وبشر الحافي، والفضيل ابن عياض، وسهل التستري، وغيرهم في باب أحوال المجاهدات، والرقائق والأخلاق.

واستند الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إلى أقوال أئمة التصوف في هذا الشأن، يقول فاروق حمادة: "ومن رأى كتب ابن تيمية يلاحظ

الإشادة والتنويه بأئمة هذا العلم ومؤسسيه، وكثرة النقل عنهم على سبيل الاحتجاج والاعتداد..." (**حمادة، 2008م، ص24**)، بل إن من الفقهاء من كان يشاور شيوخ التصوف في أحوال القلب.

فيتقرر من هذا أن علماء التصوف كانوا علماء تزكية بحق، وأن مدار علمهم وغاية نحلتهم تحصيل الأخلاق وتطهير النفوس " فهذا القدر هو الذي حام عليه القوم، وداروا حوله وتكلموا فيه، وشمروا إليه" (**ابن القيم، 1331هـ، ج2، ص103**).

المبحث الخامس: الأمثال القرآنية ودورها في غرس القيم الأخلاقية:

الأمثال القرآنية من أفضل الوسائل لغرس القيم الإسلامية، وتهذيب النفوس والأفكار، وتغيير السلوك والاعتبار، ومن خلالها يعيد المرء ترتيب نفسه بالتفكير والامعان، والعمل على إصلاح النفس وتربيتها.

وللأمثال أغراض كثيرة من أهمها "الترغيب بالتزيين والتحسين، أو التنفير بكشف جوانب القبح، فالترغيب يكون بتزيين الممثل له، وإبراز جوانب حسنه، عن طريق تمثيله بما هو محبوب للنفوس مرغوب لديها، والتنفير يكون بإبراز جوانب قبحه، عن طريق تمثيله بما هو مكروه للنفوس، أو تنفر النفوس منه" (**الميداني، 1980م، ص39**)، قال تعالى: { وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَ الْعَالِمُونْ} (**سورة العنكبوت، الآية43**)، قال السعدي- رحمه الله- في تفسيره:" (وما يعقلها) بفهمها وتدبرها، وتطبيقها على ما ضربت له، وعقلها في القلب(إلا العالمون) إلا أهل العلم الحقيقي، الذين وصل العلم إلى قلوبهم، وهذا مدح للأمثال التي يضربها، وحث على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين، والسبب في ذلك أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة.

فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها، لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبذلون جهدهم في معرفتها "وأما من لم يعقلها مع أهميتها، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم، لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة، فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى، ولهذا أكثر ما يضرب الله الامثال في أصول الدين ونحوها" (**السعدي، 2002م ص631**) وفي القرآن بضعة وأربعون مثلًا، وكان بعض السلف إذا مر بمثل لا يفهمه يبكي ويقول: لست من العالمين" (**ابن القيم الجوزية، 1996م، ج1، 226**).

وقال سبحانه: { وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِ مَثَلٍ لَعَلَهُمْ يَتَذَكْرُونْ} (**سورة الزمر، الآية 27**)، وقال سبحانه: { لَو أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعَاً مُتَصَدِعَاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَاسِ لَعَلَهُمْ يَتَفَكَرُونْ} (**سورة الحشر، الآية 21**)، وقال تعالى : {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الْذَيِنَ خَلَوا مِنْ قَبِلِكُمْ وَمَوْعَظَةً لِلْمُتَقِينْ} (**سورة النور، الآية 34**). وقد اشتمل القرآن الكريم على:

1.آيات بينات، وهي الآيات الواضحات من الحقائق الشرعية، من الأمر والنهي والحلال والحرام، وغيرها.

2.(ومثلا) من الأخبار العجيبة وقصص الأمم السابقة وما فيها من عبر لكل ذي لب. كما قال تعالى: {وَأَنْذِرِ الْنَاسَ يَومَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابَ فَيَقُولُ الْذِينَ ظَلَمُوا رَبْنَا أَخِرنَا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَبِعَ الْرُسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ، وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الْذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيْنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهُمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ} (**سورة إبراهيم، الآية 44، 45**).

فهذه الآية وما اشتملت عليه من تحذير وترهيب، وما وقع للأمم السابقة من سلوك مشين، وكيف خالف هدي رب العالمين، هي عظة وعبرة لأصحاب العقول الراجحة أن يتعظوا بها، بعدم التشبه بهم، أو السير على طريقهم، وقد حظيت السيرة النبوية أيضا بمواعظ النبي صلى الله عليه وسلم وإرشاداته التي تجمع بين الترغيب، والترهيب، والخوف، والرجاء وجعلت منهما مرتكزًا للتأثير في النفس.

3.(موعظة للمتقين) المواعظ والنصائح والوصايا، وهي تعتبر علاجًا حاسمًا لما يعتري النفس من أمراض ودافعًا قويًا إلى رقيها واستقامتها على منهج الإسلام.

-القصص القرآني:

للقصص القرآني أثرٌ بالغ في نفس القارئ والسامع، تهفو لها النفوس، وتطمئن بها القلوب، وتسمو بها الأرواح، فيها من السحر الأخاذ للسمع والفؤاد، وفيها من الفوائد والعبر والدروس والإرشاد والدلالات لمن أمعن

النظر، وألقى السمع وهو شهيد، قال تعالى: {إِنَا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً لَعَلْكُمْ تَعْقِلُونْ، نَحْنُ نَقُصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَينَا إِلْيكَ هَذَا الْقُرْآنَ وِإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينْ) **(سورة يوسف، الآية 2، 3)**.

***من فوائد القصص القرآني:**

1.الاقتداء بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: {أُولَئِكَ الْذِينَ هَدَىَ اللهُ فَبِهُدَاهُمِ اقْتَدِه} (سورة الأنعام، الآية90)، أي على طريقتهم في التوحيد والدعوة إلى الله تعالى، والصبر على ذلك.

2.اجتناب سلوك المجرمين، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ نُفَصِلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينْ }**(سورة الأنعام، الآية 55)**.

3.التفكير، قال تعالى: {فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعْلَهُمْ يَتَفَكْرُونْ} (سورة الأعراف، الآية 176).

4.الاعتبار، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ فَيَ قِصَصِهِمْ عِبْرَةً لأُوْلِي الأَلْبَابْ مَا كَانَ حَدِيثَاً يُفْتَرَىَ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الْذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِ شَيءٍ وَهُدَىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونْ} **(سورة يوسف، الآية 111)**.

5.المعين التربوي، والزاد العلمي، قال تعالى: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلْيكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَلْقَونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدْيِهِمُ إِذْ يَخْتَصِمُونْ} **(سورة آل عمران، الآية 44)**.

فالقصة وسيلة تربوية فاعلة، مريحة للقلب، وزاد المعلمين، لما لها من أسلوب رائع مؤثر، لذلك استخدم النبي صلى الله عليه وسلم، القصة، واستمع لها فهي إحدى الوسائل الناجحة لكسب القلوب والتأثير فيها، وغرس القيم الإسلامية.

نتائج البحث:

1.إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث للبشرية كافة، وجاء بمنهج أخلاقي كان به قدوة للملتزمين سلوكًا واعتقادًا، وكانت الأخلاق علامة بارزة في حياته كان بها مثلاً للأمم في الزهد والورع.

2.الزهد في الإسلام جزء أساسي من المنهج التربوي للمسلم، فهو منهج حياة، وشرط أساسي في تحقيق عبودية القلب الخالصة لله، وامتلاء هذا القلب بمحبة الله وحده، فلا يرق قلبه لغير الله، فلا يتعبده ماله، ولا ولده، ولا جاهه، بل ينبغي أن يشغل قلبه بالعبودية لله وحده، ولذلك كان من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن من أوثق عرى الايمان إذا أحب المرء أن يحب لله، وإذا كره أن يكره لله".

3.منهج الرسول التربوي كان يقوم أساسًا على السلوك سواء أكان سلوكًا عمليًا أم عقليًا، بالترهيب مما حذر الله منه وزهد فيه، كالانشغال بفضول الدنيا، أو جعلها غاية بدلًا من أن تكون وسيلة، أو الركون إليها والاغترار بها وبما فيها، ومن ناحية أخرى يقوم الزهد على الترغيب في كل ما رغب الله فيه وأراده للمسلم منهجًا وسلوكًا.

4.إن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين لم يظفروا بذلك الكنز الروحي والإيماني، إلا بعد اتباع أوامر ووصايا وحكم الكتاب والسنة، والالتزام بالمنهج النبوي الصحيح، إن تلك الحالات الروحية السامية التي صحبتهم طوال حياتهم هي ثمرة الإيمان العميق المتجدد، وثمرة العمل الصالح، والخالص لوجه الله، والمنضبط بالكتاب والسنة، وقد أكرم الله كثيرًا منهم بالكرامات وألهمهم الحكمة والسداد في القول والعمل، ويسَّر لهم طريق العلم والتقوى، فكانوا هداةً مهتدين يقصدهم طلاب العلم والتربية، وكل المسلمين الراغبين في التعلم وتزكية النفس.

5.ظهرت الصوفية كظاهرة اجتماعية وروحية، وهي منهج تربوي روحي، يهتم بالطهارة القلبية، والصفاء النفسي، والزهد في الدنيا، والابتعاد عن مجالس الحكام، واحتضان المستضعفين والفقراء والضعفاء، والاهتمام بالباطن، وإصلاح السلوك ومقاومة تطلعات النفس عن طريق المجاهدات والرياضات النفسية للسيطرة على الغرائز، والانعزال عن المجتمع، والبحث عن السعادة والطمأنينة الداخلية، ومحاسبة النفس، والاهتمام بالخاطرة المولدة للسلوك.

6.تستمد الصوفية فكرها من حياة الرسول صلوات الله عليه وأقواله، واهتمامه بتكوين الشخصية الإيمانية التي تعمل لله تعالى، ولا تعمل لأجل أهداف دنيوية.

7.إن طوائف العباد والزهاد والتائبين الذين حفل بهم القرن الأول وبعض القرن الثاني كانوا أهل عمل ومجاهدة، أكثر مما كانوا أهل قولٍ ونظر.

8.إن المعنى الحقيقي للدين هو التسامح والحب لممارسة الشعائر بطريقة صحيحة وزيادة الالتزام.

9.إن وظيفة الدين تتمثل في تقديم تفسير لمشاكل الأفراد الحياتية، وإمدادهم باستراتيجية لقهر اليأس، والشعور بالإحباط، لذلك فهو ظاهرة اجتماعية بها يتعايش الفرد، ويكتسب جوانب معيشته، وتفاعله مع الجماعة.

10. الدين الإسلامي دين وسطية لا إفراط ولا تفريط، لذلك وجب على الانسان أن يسير كما أمره الله في القرآن الكريم، وذلك بابتغاء الدار الآخرة مع عدم نسيان النصيب الذي قسمه الله إلينا في الدنيا.

11. لا يؤخذ على التصوف وشعائره أنه خاص بأهل التصوف فقط، بل إنه أساس من أسس الدين الإسلامي، فالتصوف كله بناء خلقي للفرد يقوّم حياته ويسير به إلى الطريق الصحيح إذا ما اعتدل فيه، كما أنه يعد أداة للدفاع عن هويتنا الإسلامية في ظل الظروف الراهنة، وتحديات العصر من غزو ثقافي يداهمنا جيلاً بعد جيل.

12. الإيمان والعقيدة في نظر الصوفية تجسيد لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فهي تضيء الجوانب الروحية، والعقلية، والخلقية للإنسان المسلم، وتنعكس على قواه البدنية وجوارحه بالخشوع والطاعة؛ فيسخرها في العبادة، ويصرفها في الخير، فتطمئن نفسه، ويستقيم سلوكه، وتتقوم اتجاهاته.

المقترحات والتوصيات:

1. لا بد من اتخاذ نهج حكيم ونافع للمجتمع يستطيع الأفراد من خلاله السير في الاتجاه الصحيح.

2. إعداد مشاريع تطبيقية تخدم المثل العليا الخالدة للدين الإسلامي، وإبراز صورته الحضارية الأصيلة، والتي تتم من خلالها وضع مقاييس جديدة ومعايير قيمية كإعداد كوادر لتطوير الخطاب الإسلامي، وإيصاله للعالم بطريقة تؤدي للإدراك السلس والفهم الصحيح لمقاصد الدين.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، طبع الحلبي، القاهرة، د. ت.
3. ابن حنبل، الإمام أحمد، مسند ابن حنبل، دار المعارف، القاهرة، 1958م.
4. ابن الجوزي البغدادي، الحافظ الإمام عماد الدين أبو الفرج، صفوة الصفوة، حيدر آباد، 1355هـ.
5. ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ط2، دار الطباعة المصرية، القاهرة، د.ت.
6. ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان أنباء أبناء الزمان، ج2، القاهرة، 1299هـ.
7. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، القاهرة، 1348هـ.
8. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، تقريب التهذيب، القاهرة، د. ت.
9. ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة، 1351هـ.
10. ابن القيم الجوية، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، طبع القاهرة، د.ت.
11. ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد رشيد رضا، ج2، ط1، القاهرة، 1331هـ.
12. ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق عبد العزيز غنيم وآخرون، مطبعة الشعب، د.ت.
13. ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي، البداية والنهاية، طبعة بيروت، 1977م.
14. ابن خلدون، أبو يزيد عبد الرحمن بن محمد المغربي، المقدمة، تحقيق: أ. م. كاترمير، طبعة باريس،1858م.
15. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك الحميري البصري، السيرة النبوية، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، 1937م.
16. ابن سعد، أبو عبد الله محمد، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، د. ت.
17. ابن تيمية، رسالة في معنى الزهد، ضمن الزهد والورع والعبادة، تحقيق: حماد سلامة، مكتبة المنار، ط1، الأردن، 1407هـ، 1987م.
18. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: محمد رشاد سالم، الصفدية، ج1، دار الفضيلة، الرياض،2011م.
19. ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، تقديم: علي بن حسن بن عبد الحميد، ج1، دار بن عفان، المملكة العربية السعودية، ط1، 1416هـ، 1996م.
20. ابن عجيبة الحسني، أحمد بن محمد، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، دار المعارف، القاهرة، د، ت.
21. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته، الفتح الكبير، المكتب الإسلامي، ط3، 1988م، 1408هـ.
22. أبو داود، سليمان ابن الأشعث الأزدي السجستاني، سنن أبو داود، تحقيق محمد محي الدين، المكتبة التجارية، القاهرة، د.ت.
23. أبي العز الحنفي، علي بن علي بن محمد، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، بيروت، 1404هـ.
24. البخاري، أبي عبد الله بن إسماعيل ابن إبراهيم الجعفي البخاري، صحيح البخاري، جمعية البشرى الخيرية، باكستان، المجلد الأول، 1437هـ، 2016م.
25. البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، وبيروت، ط1، 2002م.
26. البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق: أبي هاجر السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان، ج1، 2000م، 1421هـ.
27. بن حميد، صالح بن عبد الله، بن ملوح، عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن، موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، م7، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط1، 1998م، جدة، المملكة العربية السعودية.
28. الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، المطبعة المصرية، 1931م.

29.الجرجاني، علي بن محمد علي السيد، التعريفات، القاهرة، 1357هـ، 1938م.
30.الجليند، محمد السيد، من قضايا التصوف في ضوء القرآن والسنة، مكتبة الشباب، 1988م.
31.حمادة، فاروق، التصوف مشروعية وهدفا، مجلة بصائر، الرباط، العدد5، سبتمبر، 2008م.
32.الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج2، دار القلم، بيروت، ط1، 2000م.
33.الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، القاهرة، 1201هـ.
34.السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.
35.السلمي، أبو عبد الرحمن، الطبقات الصوفية، مكتبة الخانجي، يسره ورتبه أحمد الشرباصي، القاهرة، 1969م.
36.السخاوي، شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، مكتبة الخانجي، 1956م.
37.السيوطي، جلال الدين بن أبي بكر، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، 1، 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1425هـ، 2004م.
38.الشعراني، عبد الوهاب، الطبقات الكبرى، القاهرة، 1390هـ، 1970م.
39.الشاطبي، أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الموافقات، دار بن عفان، م1، د، ت.
40.الصوري، يوسف خاطر، أساليب الرسول في الدعوة والتربية، صندوق التكافل لرعاية أسر الشهداء والأسرى، 1991م.
41. عبد الباقي، محمود فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة، 1987م.
42.عيسى، عبد القادر، حقائق عن التصوف، ط4، حلب، د. ن، 1970م.
43.عبده، خالد محمد، معنى أن تكون صوفيا، مقالة ضمن كتاب الصوفية اليوم قراءات معاصرة في مجتمع التصوف ونماذجه، محمد سليمان أبو رمان ومجموعة باحثين، مؤسسة فريدريش ابيرت، عمان، الأردن،2020.
44.عبد الحميد الصيد الزنتاني، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، الدار العربية للكتاب، ط1، 1993م.
45. عاشور، مجدي محمد، الثابت والمتغير في فكر الإمام أبي إسحاق الشاطبي، دار السلام، مصر، ط1، 2020م.
46.عون، فيصل بدير، التصوف الإسلامي، القاهرة، 1983.
47.العراقي، محمد عاطف، ثورة العقل في الفلسفة العربية، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1978م.
48. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3 د.ت، د. ط، الدار المصرية اللبنانية.
49.الفاخوري، الفاخوري، الجر، خليل، تاريخ الفلسفة العربية، دار الجيل، بيروت، ط3، 1993م.
50.القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد المالك، إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1304هـ.
51.القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، طبعة دار الشعب، د، ت.
52. القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان، الرسالة القشيرية، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1940م.
53.الكلبازي، أبو بكر محمد، التعرف لمذهب أهل التصوف، ط2، تحقيق محمد أمين، النواوي، القاهرة، 1400هـ، 1980م.
54.محمود، عبد القادر، الفلسفة الصوفية في الإسلام، دار الفكر العربي، 1966م.
55.المتقي، منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مطبوع بهامش مسند أحمد بن حنبل، ج1، ط1، دار الصياد للطباعة، بيروت، 1969م.
56.مسلم، أبي الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ج2، ج3، ج4، ط1، 1991م.
57.مبارك، زكي، التصوف الإسلامي في الآداب والأخلاق، القاهرة، مطبعة الرسالة، ج1، ط1، 1357هـ،1938م.
58.الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة، الأمثال القرآنية، دار القلم، دمشق، وبيروت، ط1، 1400هـ، 1980م.
59.ناصف، منصور علي، التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، مطبعة الحلبي، القاهرة، د.ت.
60.النووي، أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف، رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين، تحقيق عبد الفتاح رباح وأحمد الدقاق، ط2، دار المأمون للتراث، بغداد، د. ت.
61. النسائي، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب، سنن النسائي وهو المجتبى، طبعة الحلبي، القاهرة، د.ت.
62.نيكلسون، أصل التصوف ونشأته الأولى وتطوره، ترجمة: أبو العلا عفيفي ضمن كتاب في التصوف الإسلامي وتاريخه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1366هـ، 1947م.
63.هارون، عبد السلام محمد، الألف المختارة من صحيح البخارى، ج1، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1399هـ، 1979م.